

نوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ١٣ : الصحابي ربيعة بن كعب

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-١-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب

اليوم الصحابي الجليل ربيعة بن كعب، شخصية فذة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، الذين كتبوا صفحات بيضاء تضاف إلى أعمالهم وسجلاتهم، ماذا نقول عن هذا الصحابي الجليل ربيعة بن كعب.

أ. راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، أستاذ جمال خير ما نقول عن هذا الصحابي الجليل هو ما قاله عن نفسه هو ، فقال ربيعة بن كعب: كنت فتىً حديث السن، لما أشرقت نفسي بنور الإيمان وامتلاً فؤادي بمعاني الإسلام، ولما إكتحلت عينياً بمرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول مرة أحبيبته حباً ملماً على كل جارحةً من جوارحي، وأولعت به ولعاً صرفي عن كل ما عاده، فقلت في نفسي ذات يوم: ويحك يا ربيعة لما لا تجرّد نفسك لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إعرض نفسك عليه، فإن رضي بك سعدت بقربه وفزت بحبه، وحظيت بخيري الدنيا والآخرة، ثم ما لبست أن عرضت نفسي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجوته أن يقبلني في خدمته، فلم يخيب رجائي، ورضي بي أن أكون خادماً له، وصرت منذ ذلك اليوم ألزم للنبي الكريم من ظله، أسير معه أينما سار، وأدور في فلكه كيما دار، فما رمى بطرفه مرّاً نحوه، إلا مثُلتُ واقفاً بين يديه، وما تشوفَ (أي تطلع) لحاجةً من حاجاته، إلا وجدني مسرعاً في قضائها، وكنت أخدمه نهاره كله، فإذا انقضى النهار، وصلى العشاء الأخيرة، وأوى إلى بيته إِهْمَ بالإنصراف، لكنني ما ألبث أن أقول في نفسي: إلى أين تمضي يا ربيعة؟ فلعلها تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجةً في الليل، فأجلس على بابه ولا أتحول عن عتبة بيته، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقطع ليلاً قائماً يُصلِّي، فربما سمعته يقرأ بفاتحة الكتاب، فما يزال يكررها هزيعاً من الليل، حتى أمل فائزكه أو تغلبني عينياً فأنام.

أ. جمال:

كلمة هزيعاً أستاذ راتب ما معناها؟

أ. راتب:

الهزيع هو الشطر من الليل، ثلثه أو نصفه أو جُزءٌ منه.

وربما سمعته يقول: سمع الله لمن حمد، فما يزال يرددتها زماناً أطول من تردده لفاتحة الكتاب، كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى وحده أطول، أما إذا صلى ب أصحابه كان أخف الناس صلاة، وقد كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما صنع له أحد معرفة إلا أحب أن يجازيه عليه بما هو أجل منه، وقد أحب أن يجازيني على خدمتي له فأقبل علي ذات يوم وقال: " يا ربعة بن كعب ". فقلت: ليك يا رسول الله وسعديك، فقال: " سلني شيئاً أعطيه لك " ، فرويت قليلاً ثم قلت: أمهلني يا رسول الله لأنظر فيما أطلبه منك ثم أعلمك، فقال عليه الصلاة والسلام: " لا بأس عليك " .

طبعاً هذا موقف، وكنت يومئذ شاباً فقيراً لا أهل لي ولا مال ولا سكن، وإنما كنت آوي إلى صفة المسجد مع أمثالي من فقراء المسلمين، (الصفة مكان في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأوي إليه الفقراء الذين لا بيوت لهم) وكان الناس يدعوننا بضيوف الإسلام، فإذا أتي أحد المسلمين بصدقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث بها كلها إلينا، وإذا أهدى له أحد هدية، أخذ منها شيئاً وجعل باقيها لنا، فحدثتني نفسي أن أطلب من رسول الله شيئاً من خير الدنيا، أغتنى به من فقر، وأغدو كالآخرين ذا مال وزوج وولد، لكنني ما لبست أن قلت: تبا لك ياربعة بن كعب، إن الدنيا زائلة فانية، وإن لك فيها رزقاً كفله الله عز وجل فلا بد من أن يأتيك، والنبي عليه الصلاة والسلام في منزلة عند ربه لا يُردد معها طلب، فاطلب منه أن يسأل الله لك من فضل الآخرة، فطابت نفسي بذلك واستراحت له، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

" ما تقول يا ربعة " ؟ فقلت يا رسول الله: أسألك أن تدعوني أن يجعلني رفيقاً لك في الجنة، فقال: " من أوصاك بذلك " ؟ فقلت: لا والله ما أوصاني به أحد، ولكنك حين قلت لي: سلني أعطك، حدثتني نفسي أن أسألك شيئاً من خير الدنيا، ثم ما لبست أن هديتك على إثارة الباقية على الفانية، فسألتك أن تدعوني لي بأن أكون رفيقك في الجنة، فصمت النبي عليه الصلاة والسلام طويلاً ثم قال: " أو غير ذلك يا ربعة " ؟ فقلت: كلا يا رسول الله، فما أعدل بما سألك شيئاً، فقال: " إذاً أعني على نفسك بكثرة السجود " .

أ. جمال:

أي دله على العمل.

أ. راتب:

نعم، " يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عم رسول الله، أنقذنا نفسيكما من النار، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأنوني بأنسابكم، من يُعطيء به عمله لم يُسرع به نسبة " .

فجعلت أدب في العبادة لأحظى بمرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، كما حظيت بخدمته وصحبته في الدنيا، ثم إنه لم يمض على ذلك وقت طويل حتى ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

"ألا تتزوج يا ربعة؟" قلت: ما أحب أن يشغلني شيءٌ عن خدمتك يا رسول الله، ثم إنني ليس عندي ما أهُر به الزوجة، ولا ما أقيم حياتها به، فسكت ثم رأني ثانيةً وقال: "ألا تتزوج يا ربعة؟" فأجبته بمثل ما قلت له في المرة السابقة، لكنني ما إن خلوت إلى نفسي حتى ندمت على ما كان مني، وقلت: ويحك يا ربعة، والله إن النبي لأعلم منك بما يصلح في دينك ودنياك، وأعرف منك بما عندك، والله لأن دعاني النبي عليه الصلاة والسلام بعد هذه المرة إلى الزواج لأجيئه، ولم يمض على ذلك طويلاً وقت حتى قال لي رسول الله: "ألا تتزوج يا ربعة؟" قلت: بل يا رسول الله، ولكن من يزوجني وأنا كما تعلم؟ فقال: "إنطلق إلى آل فلان وقل لهم: إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فتاتكم فلانة".

فأتيتهم على إستحياءٍ وقلت لهم: إن رسول الله أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانة، فقالوا: فلانة؟ قلت: نعم، فقالوا: مرحباً برسول الله، ومرحباً برسول رسول الله، والله لا يرجع رسول رسول الله إلا بحاجته، وعقدوا لي عليها، (من دون تعقيدات) فأتيت النبي عليه الصلاة والسلام وقلت: يا رسول الله لقد جئت من عند خير بيتٍ، صدقوني ورحبوا بي وعقدوا لي على إبنتهم، فمن أين آتتكم بالمهر؟ فاستدعي النبي بُريدة بن الخصيب، وكان سيداً من سادات قومبني أسلم، وقال له: "يا بُريدة إجمع لربعة وزن نواة ذهباً"، فجمعوا لها لي النبي الكريم: إذهب بهذا إليهم وقل لهم: هذا صداق إبنتكم، فأتيتهم ودفعته إليهم فقبلوه ورضوه وقالوا: كثير طيب، فأتيت النبي عليه الصلاة والسلام وقلت: ما رأيت قوماً قط أكرم منهم، فقد رضوا ما أعطيتهم على قلّت، وقالوا: كثير طيب.

أستاذ جمال

ورد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((أعظم النساء بركة أيسرُهنَّ مئونةً))

(رواه أحمد)

أ. جمال:

وهذا السؤال يا أستاذ راتب النابلسي الذي أحببت أن أتوقف عنده، أي الزواج فيه البركة؟

أ. راتب:

أعظم النساء بركة أهلن مهراً وأيسرُهنَّ مئونةً .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت: ما رأيت قوماً قط أكرم منهم ف، لقد رضوا ما أعطيتهم على قلته، وقالوا: كثير طيب، فمن أين لي ما أُولم به يا رسول الله؟ فقال النبي الكريم لبريدة: "إجمعوا لربيعة ثمن كبش"، فابتاعوا لي كبشًا عظيماً سميناً، فقال لي النبي الكريم: إذهب إلى عائشة وقل لها: "أن تدفع لك ما عندها من الشعير"، فأتيتها فقالت: إليك المكتل فيه سبع أَاصْعَ شعير، لا والله ما عندنا طعام غيره.

أ. جمال:

الأَصْعُمُ، جَمِيعُ صَاعٍ.
أ. راتب :

نعم، فانطلقت بالكبش والشعير إلى أهل زوجتي فقالوا: أما الشعير فنحن نُعَدُّه، وأما الكبش فمر أصحابك أن يدعوه لك، فأخذت الكبش أنا وناسٌ من أسلم، فذبحناه وسلخناه وطبخناها، فأصبح عندنا خبزٌ ولحم، فأولمت ودعوت رسول الله عليه الصلاة والسلام فأجاب دعوتي.

أ. جمال:

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي ماذا نستشف من هذه القصة لربيعة بن كعب؟
أ. راتب:

لقد سعد ربيعة رضي الله عنه بخدمة رسول الله في الدنيا والآخرة، سعد به في الدنيا إذ كان قريباً منه، وسعد به في الآخرة إذ دعا الله أن يكون رفيقه في الجنة.

أ. جمال:

أهلاً ومرحباً بفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية جامعة دمشق، والمدرس الديني في مساجد دمشق، وخطيب جامع النابلسي بدمشق، أهلاً بكم ومرحباً.

والحمد لله رب العالمين